الأديب
راشد حسين

الحياة واللاحياة، الموت واللاموت في شعر راشد حسين
1977-1936

قسطندي شوملي

حياته:

ولد في قرية مصمص في المثلث الشمالي عام 1936، لعائلة ريفية متوسطة الحال. انتقل والداه للإقامة في حيفا عام 1940، حيث عمل والده في التجارة. بدأ تعليمه الابتدائي في حيفا، وأكمله في أم الفحم بسبب ظروف الحرب، وأنهى تعليمه الثانوي في مدينة الناصرة. بدأ كتابة الشعر في سن مبكرة، حيث أصدر ديوانه الأول في سن العشرين. وأصبح في مدة وجيزة شاعر الساحة الفلسطينية الأول في الداخل الفلسطيني، وأصبح أحد رموز هذا الشعر لدى الجماهير. كان من الرواد في تشكيل رابطة شعراء العربية في 12 آذار 1954 في الناصرة. عاش في الجليل تحت ظل نظام حكم عسكري جائر، ولكنه استطاع أن يعبر عما في نفسه ويعانيه من خلال المهرجانات الشعرية التي كانت تقام في القرى العربية، فقد شارك في جميع المهرجانات الشعبية طيلة عشر سنوات ما بين 1955-1965، وكان ملك المنابر النضالية في هذه الفترة، فغنى للأرض والفلاح والقرية، مما أغضب السلطات التي فصلته من سلك التعليم. وبانفصاله عن التعليم انفتحت أمامه مجالات أخرى للتعبير الحر عما يعانيه شعبه من ظلم وتشرد وقهر، فقد عمل محررا أدبيا لمجلة "الفجر" الشهرية، وجعل منها صوتا قوميا، كما عمل في صحيفة "المرصاد" السياسية ومجلة المصور[1]. مارس المقاومة قولاً وعملاً حيث كان من نشطاء حركة الأرض ومحررًا لنشرتها السياسية. كان نشطًا في صفوف حزب العمال الموحد والحركة الشيوعية في الداخل، مما جعله عرضة لنقد بعض معاصريه بسبب العلاقة التي تربط الحركة الشيوعية الفلسطينية بالصهيونية. وكانت كتابات راشد حسين التي نشرها على صفحات جريدة المرصاد التي يصدرها حزب (المابام) الصهيوني، "صوت العروبة" في أشدّ لحظاتها توترًا، وغدت كتاباته

[1]- عرفان سعيد أبو حمد الهواري، **أعلام من أرض السلام** (حيفا: شركة الأبحاث العلمية والعملية، 1979)، 51.

ذاكرة اللحظة الحية، مما أثار حنق الطغمة العسكرية، فعملت على إبعاده عن الجريدة، فاضطر للعمل عاملَ بناء في تل أبيب، تساعده زوجته الأمريكية الأصل على شظف العيش، وقد استطاع أن يثير اهتمامها بالقضية الفلسطينية، فتحمست لها ووقفت إلى جانبه"[1].

وقد اضطر لمغادرة وطنه بعد أن اشتد الحصار حوله، وغادر فلسطين المحتلة عام 1969 إلى الولايات المتحدة للدراسة، وهناك عمل في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية. وكان يدرك جيدًا أن الولايات المتحدة لا تصلح لأن تكون مكانًا ملائمًا لإقامته الدائمة، فقرر السفر إلى سوريا خلال حرب 1973، وعمل محررًا في الإذاعة السورية للقسم العبري، وشارك في تأسيس مؤسسة الدراسات الفلسطينية. عاد إلى نيويورك عام 1973 حيث عمل مراسلا لوكالة الأنباء الفلسطينية "وفا"، حيث حاول أن يبث فيها روحًا ثورية حقيقية، فاصطدم مع بيروقراطي المنظمة، مما جعل له الكثير من الأعداء بينهم. ثم عمل ممثلاً ثقافيًا لها في الأمم المتحدة . كانت أبرز نشاطاته الإعلامية في الأوساط الجامعية الأمريكية ، حيث شارك في كثير من الندوات والسجالات حول القضية الفلسطينية . وكان هذا كما يبدو هو أخطر نشاطاته في نظر السلطات الإسرائيلية حينما سحبت منه الجنسية، وقد توفي في الأول من شباط عام 1977 مختنقًا نتيجة حريق شب في غرفته من عقب سيجارة، ولم يكمل عامه الحادي والأربعين. وعمل أصدقاؤه في الخارج وذووه وأبناء شعبه في الداخل بإصرار على نقل جثمانه إلى مسقط رأسه، مما اضطر الحكومة الإسرائيلية إلى الموافقة على ذلك، وفي 8 شباط 1977 شارك الآلاف من أبناء شعبه من فلسطينيي الداخل والضفة والقطاع في تشييع جثمانه في مسقط رأسه مصمص، التي رفعت على مدخلها لافتات مهيبة تقول "الوطن يرحب بابنه العائد"! و"راشد يرحب بضيوفه الكرام". ثم انطلقت الزغاريد، وأبّنه الأصدقاء والزملاء: توفيق زيّاد، سميح القاسم، فاروق مواسي، جمال قعوار، محمد ميعاري، عاموس كينان، محمود دسوقي وغيرهم. قامت على إثر ذلك "جمعية إحياء تراث راشد حسين" بمشاركة كل الأوساط القومية

[1]- محمد قرانيا، "الشاعر الفلسطيني راشد حسين والقتال بالكلمات" موقع **دنيا الوطن-دنيا الرأي**، 30 أيار 2009.

والوطنية، بإصدار مجموعته الشعرية الكاملة، وجزأين من تراثه النثري الواسع. صدرت عنه بعض الدراسات والكتب النقدية في الداخل والخارج . منح اسمه وسام القدس للثقافة والفنون في عام 1990.

أعماله الشعرية:

كانت حصيلة الفترة التي أقام فيها داخل الوطن ديوانين، هما: "مع الفجر" وقد صدر عام 1957، و"صواريخ" وقد صدر عام 1958، وعندما اضطر لمغادرة وطنه استمر في كتابة الشعر، فكان حصيلة ما كتبه ديوان "أنا الأرض.. لا تحرميني المطر" ومجموعة أخرى من القصائد. وفيما يلي قائمة بهذه الأعمال:

مع الفجر. لجنة إحياء تراث راشد حسين، اللجنة الأدبية، د.م 1979 (مطبعة الحكيم، الناصرة، 1957م، القاهرة، 1957م).

صواريخ، لجنة إحياء تراث راشد حسين، اللجنة الأدبية، د.م 1979 (مطبعة الحكيم، الناصرة، 1958).

قصائد لم تنشر. لجنة إحياء تراث راشد حسين، اللجنة الأدبية، عكا: دار القدس العربية للطباعة والنشر، 1979.

أنا الأرض... لا تحرميني المطر. لجنة إحياء تراث راشد حسين، اللجنة الأدبية، عكا: دار القدس العربية للطباعة والنشر، 1979 (الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، 1976، منشورات البيادر، 1977).

وقام مركز إحياء التراث العربي في الطيبة بنشر أعماله الشعرية الكاملة في كتاب واحد عام 1990، كما نشرت الأعمال الشعرية الكاملة في بيروت.

أعماله النثرية:

نشر راشد حسين العديد من الكتابات النثرية في الصحف والمجلات. وقد جمعت هذه الكتابات النثرية في كتاب من جزأين بعنوان:

كلام موزون، القسم الأول، لجنة جمع تراث راشد حسين، مطبعة فراس- الناصرة، 1982، جزءان.

ترجماته:

ترجم في عام 1966 نخبة من شعر ونثر الشاعر العبري حييم نحمان بياليك إلى اللغة العربية. كما قام بالترجمات التالية:

1- **حاييم نحمان بياليك: نخبة من شعره ونثره** ، ترجمة عن العبرية (دار دفير للنشر، تل أبيب، 1966). معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية في الجامعة العبرية، 1966

2- **النخيل والتمر**؛ مجموعة من الأغاني الشعبية العربية، ترجمها بالتعاون مع شاعر يهودي من العربية إلى العبرية.

3- **العرب في إسرائيل.** تأليف صبري جريس. جزءان، ترجمة الشاعر من العبرية إلى العربية (مركز الأبحاث، بيروت 1967).

الخصائص الفنية لشعره:

راشد حسين من شعراء الفوج الأول في عهد الاحتلال، فقد ظهرت بواكير إنتاجه في أوائل النكبة. وتظهر دواوينه الشعرية إبداعه في استيعاب الواقع الذي عاش فيه، واقع الإجراءات التعسفية للاحتلال، فيقدم لنا هذه المعاناة من خلال حس ذاتي عميق وأصيل. يتميز الشاعر راشد حسين باغترافه من منبعين: التراث القومي والتجربة الذاتية، التي تعتبر المنبع الأساسي للعملية الإبداعية، فقصائده ترتبط بالوطن والقرية والفلاح، وتعبر من تجربة ذاتية في المعاناة والمقاومة تحت ظل الاحتلال. ويختلف الشعر الذي كتبه راشد حسين خارج الوطن، عن الشعر الذي كتبه في الداخل، نظرا لاختلاف الظروف وتباين الأسباب، فكل منهما محكوم بشروط خاصة: فقد وضع الشعر الذي كتب في داخل الوطن الشاعر راشد حسين، أمام وضع مختلف، وكان لا بد له أن يتأثر بهذا الوضع، ويسجل نتائجه في شعره، راسما رد فعله الطبيعي وانعكاس الأحداث عليه. وتمثل الشعر الذي كتب خارج الوطن بأبعاد فكرية ونفسية حضارية مختلفة.

والشاعر راشد حسين في خطابه الشعري يوجه رسالة إلى القارئ الفلسطيني والعربي وإلى الضمير العالمي. وموضوع هذه الرسالة متعدد الجوانب والاتجاهات ولكنه ينصب في قالب واحد مترابط يمكن تمثيله بالوحدات التالية: قصائد الشاعر في الشعر والحب والقرية، وقصائد الشاعر في الخيمة واللاجئ والمنفى، وقصائد الشاعر في المقاومة والثورة والحرية، وقصائد الشاعر في المدينة والأطفال والقرية. ويتوزع المضمون الشعري في هذه القصائد راشد حسين في أربعة محاور، هي: محور الحياة الذي يكشف عن حب الشاعر للجمال ولوطنه وقريته، ومحور الموت الذي يكشف عن معاناة الفلسطيني في داخل الوطن وفي المخيمات، ومحور "اللاحياة" الذي يكشف عن الجانب الاجتماعي والإنساني للمعاناة الذي يجعل من حركة الكفاح التي يخوضها شعبه جزءا من حركة التحرر العالمية، ومحور "اللاموت" وهو المحور الوطني الذي يكشف عن التشبث بالأرض والثورة والوطن والانتماء للأمة العربية. وشعره في مجمله ملحمة شعرية واحدة ترتبط بمراحل المعاناة التي مر بها شعبه، ويظهر الشاعر في قصائده كمرسل يستهدف تشكيل علاقة تواصل مع المرسل إليه. المرسل هنا هو الشعر والشاعر، التاريخ أو الإنسان، والرسالة واحدة وإن تنوعت صورها وأشكالها، فهي ترتبط بوجود الإنسان الفلسطيني حرا مستقلا على أرض وطنه، والمرسل إليه هو الإنسانية. ويرسل الشاعر، قوله الشعري كصيغة خطابية أحيانا إلى متلقٍ محتمل أو ضمني أو بصورة مباشرة. وتهدف قصائده في مجموعها لنقل رسالة واحدة محدودة إلى بني قومه، رسالة قضى حياته العريضة من أجلها. وكان بما قام به من أعمال ونشاطات، يسعى إلى تحقيق هذه الرسالة والالتزام بها، وهي الدفاع عن الأرض التي أنبتته، والشعب الذي ينتمي إليه، ضد محاولات الطمس والظلم والتهجير.

عالم الحياة: الشعر والحب والقرية.

ورد القسم الأكبر من قصائد الحب والشعر والقرية في ديوانه الأول "مع الفجر" الذي أصدره عام 1957، والذي كتب في مقدمته إلى القراء يقول:

"جمعت آلامي وآلامكم، دعمت أفراحي وأفراحكم، ذوبت حبي وحبكم، ثم وضعت كل هذا في مرجل روحي، وأضفت إليه قطرة من دم عطر وجذوة من نار مقدس وكأسًا من عبث الشباب، وجعلت من هذا المزيج حبرًا أكتب به، كتبت إليكم لأصب الفرح والأمل إلى قلوبكم ... فهل أستطيع ... بهذا يا إخوتي سأحدثكم، فلن تلتقوا في هذا الكتاب مع سيوف عنترة! ولن تجدوا فيه شاعرا يلبس بذلة وربطة عنق، ثم يركب حصان المتنبي، وهجين امرئ القيس! .. ولنسر معا نحو النور.. في طريق الشمس.. على أن نستيقظ مبكرين لنبدأ رحلتنا مع الفجر"[1].

تفصح قصائد هذا الديوان عن حبه للحياة، ولا عجب، فهو يهديها إلى المحبين والمتطلعين إلى الحرية:

"لمن اهدي قصائدي؟ (أللمتألمين)! وما قصائدي سوى صدى أناتهم؟ أللمحبين وما شعري سوى بعض ألحانهم؟ أم للمتطلعين إلى الحرية، وما كتبت إلا معبرا عن إرادتهم؟ قصائدي من وحي هؤلاء جميعا، فهي إذن ملكهم، فكيف اهديهم ما يملكون؟"[2].

ويكشف الشاعر عن انتمائه إلى عالم الحياة الواسع، فقد نجح في أن يقدم لنا مجموعة من القصائد الشعرية التي كشفت عن أستار النفس في معاناة مع الحياة والحب، فحملت فكرا وفلسفة إنسانية. وكان للشاعر مواقف متنوعة من العواطف الإنسانية في حياة الإنسان بشكل عام، وعاطفة الحب بشكل خاص، ليس لأنها محور رئيس من محاور الحياة فحسب، ولكن لأنها ينبوع إلهام للفن. وعاش الشاعر الحياة في الشعر ضارعا متوسلا أن يعرف عبر كل المسالك: الكلمة والحرية والحب والموت. وكان الحب هو الأمل الذي يسعى به لكي يحقق الحرية.

---

[1]- **مع الفجر**، 19.

[2]- المصدر السابق.

فقد نجح في طرح همومه وهموم شعبه وهم الإنسان العصري في رفض أساليب القهر والظلم، والدعوة إلى الجمال والحب والعدالة. ويمجد القسم الأكبر من قصائد الشاعر هذه القيم الإنسانية كالحرية والجمال وحب الوطن، وتندد بكل من يعمل ضدها، وتنبع هذه القيم بالنسبة له كفلسطيني، من تجربته الخاصة في فلسطين، أرض الصراع المنتفض والمشتعل ضد الاحتلال عبر سنوات طويلة. لقد وجد الشاعر أن الحياة بلا حب موت، سواء كان الحب في علاقته مع الكلمة الشعرية أو علاقته مع المرأة أو علاقته مع القرية. ويعطي الشاعر أهمية خاصة للشعر في ديوانه "أنا الأرض... فلا تحرميني المطر"، فيدعو إلى بساطة القول الشعري، ويظهر رغبته في التجسد في شعره، "لمن الشعر في الأغاني في حالة حرب"، ويلتحم الفكر بالنسيج الشعري، وتتفاعل بالشعر أفكاره مع أحاسيسه، فيطلق الصيحات والصور التي يتحول فيها الإنسان إلى شعر، وتصبح قضيته قضية شعرية.

والموضوع المسيطر على دواوين الشاعر كلها، هو موضوع الصراع بين الحياة والموت. وتأخذ الحياة أشكالا أخرى متعددة من الحب والغزل والأمل. وإذا نظرنا إلى ديوان الشاعر الأول لوجدناه مليئا بقصائد الحب، فلقد أحب الشاعر الحياة والأرض والقرية، ولأن هذا الديوان قد احتوى على قصائد مرحلة الشباب الأولى، فقصائده دافقة بالحب (فنته بعد عام، حياة قلب، الحبيبة هي بلادي، تسقني الحب كله، لا أنام، وداع، قالها، لو أستطيع، النظارة الصفراء، الشاعر وربة الحب، المزهرية، من قاضي الهوى، أمام الله). وإذا كان الحب لدى الشاعر في هذه المرحلة يعكس الهم الذاتي، فإنه في دواوينه الأخرى أخذ يعكس الهمّ الجماعي، همّ المعاناة الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن ظروف الاحتلال، مما يؤدي إلى فقدان الحب، ويحكي لنا الشاعر في العديد من قصائده عن حياته في القرية وحنينه إليها وحنينه إلى أقاربه (الحسناء والقرية، وإذا كتبت رسالة حياتهم، ديان القرية)، وقصائده عن القرية بهذه البساطة والمباشرة في التعبير، تفصح عن موقع الشاعر في السلم الطبقي، فمن بقايا شعب أصبح كله مستغلا، والقسم الأكبر من هذا الشعب من سكان القرى، يعمل في الزراعة، وهو شاعر ابن قرية، وهو ابن فلاح.

عالم الموت: الخيمة واللاجئ والمنفى.

وتناول المحور الثاني موضوع الموت، وارتبطت معظم القصائد التي تناولت هذا الموضوع بحياة الفلسطينيين في المخيمات والمنافي، وورد القسم الأكبر منها في ديوان "صواريخ". فقد كتب راشد حسين الشعر انتفاضا على الظروف والأوضاع السيئة، التي كان يعيش فيها أبناء فلسطين في الداخل، وتعاطفا مع أبناء شعبه في الخارج، فوصف الأحداث اليومية التي مر بها شعبه في الداخل، فتحدث عن سلب الأراضي من الفلاحين العرب، وعن مظاهر العيش السيئ في المخيمات، ويقول في مقدمة هذا الديوان:

"يا إخوتي.. أتذكرون يوم تواعدنا على السير مع الفجر في رحلة نحو الشمس، لقد سار بعضكم وسرت معهم! وكنت اسمع الأغلال في الدرب تتحطم، وارى الظلام يغرق في نهر الكفاح! كان في الدرب ظالمون علقتهم الشعوب على المشانق! وكانت فيه شعوب لا زالت تبني المشانق لتشنق العبودية وتمنع التاريخ، وكان في الدرب جائعون يأكلون الأمل ويجترونه! وكان فيه بكاء وغناء وأسود وضباع!"[1].

ويسمي هذه القصائد بصواريخ، كرد على دعوته السابقة إلى الهازئين من الأمل والحب والكفاح، وكانت الموضوعات التي تناولها في هذا الديوان تعكس المعاناة التي كان يعيش فيها أبناء شعبه. ويسيطر موضوع الموت على قصائد الشاعر، وتنعكس صورته في وجهتين: الأولى هي الموت الذل الذي يتجلى في واقع اللاجئين في الخيام، والثانية هي الموت الظلم الذي يفرضه الاحتلال على أبناء فلسطين. ويتقاطع كلا الوجهين ليرسما معا صورة الثورة، التي تحفر مجراها على جثث الضحايا: إنها جدلية الحياة والموت، التي يتزايد تعبيرها عن نفسها كلما تزايد الظلم والاستغلال.

ويعبر الجزء الأكبر من القصائد الشعرية التي نظمها راشد حسين بعد النكبة عن مشاعر الأسى والحيرة والشكوى والألم والإحساس بالقهر. فقد تناول مجموعة من المواقف المتنوعة

[1]- **صواريخ**، 127

من الواقع، والتي صورت المخيم واللاجئ، وعبر عن موقف واضح مما يعانيه هؤلاء من الظلم والمعاناة. ولئن كان الموت اختطف راشد حسين في أوج عطائه، فإن الكلام عن علاقة شعره بالواقع الذي كان يعيشه شعبه يبقى واضحًا وصحيحًا حتى اليوم.

وتظهر صورة الموت عبر وجه الخيمة السوداء: فقد عرض الشاعر في قصائده ما يعانيه اللاجئ في المخيمات من ظلم وتشرد وعناء، فأبسط حقوقه وهي الحصول على الطعام والمسكن غير متوفرة، (أزهار من جهنم، الخيمة الصفراء، برقية، ومن مخيم، برقيتان من تل الزعتر، البرقية الأخيرة). ويظهر شبح الموت على صعيد البناء الداخلي للكلمات، فهي تعبر من خلال نسق العلاقات القائمة بين مفردات قصائده على دلالات نفسية واضحة ترتبط بالموت. وهي بما حوت من استعارات وتشبيهات، كشفت عن بعد من أبعاد الثراء الشعري لدى راشد حسين. وفي حين تركز الحديث في الديوان الأول على الخيمة السوداء، وما عاناه الفلسطيني من ظروف معيشة قاسية، نجد ديوان "أنا الأرض.." يصف الخيمة في لبنان مكان الثورة.

ويعرض لنا الشاعر مجموعة من الصور والمشاهد التي تصور حياة اللاجئ وما يعانيه من قهر وإذلال، ويتركز الحديث عن اللاجئ في ديوانه الثاني" صواريخ". والقصائد التي تناولت حياة اللاجئين ممزوجة بالألم، (خبز وزئبق، كفن، أنه اللاجئ، من لاجئ لأمه، الله لاجئ، أقول لكم، صامدون، الحب والفيتو) وتعبر عن البؤس والشقاء والبعد، وتظهر كيف تستباح حمى اللاجئين وحقوقهم. وكان خضوع الشاعر للواقع الاجتماعي والسياسي تحت الاحتلال، العلامة الأساسية التي ميزت موضوع الموت في شعره في ديوان "صواريخ"، أما في ديوان "أنا الأرض..." فإن الموت يكتسب طابعا ذاتيا في غربته، لأن الغربة عنصر من عناصر الموت البطيء، فالغربة والهجرة والابتعاد عن الوطن، كالموت (صباح في مقبرة الشهداء، مذكرات وزير، مات غريبا، بقية، لا أعرف، لا أعرف، رثاء، صدقوني، جلاء). وتجد هذه القصائد لحمتها في حركة واحدة هي حركة الصراع بين الظلم والعدل والمعاناة والحرية والوطن، والمهجر والشقاء والثورة.

عالم اللاحياة: الوطن والأطفال والغربة.

ويتناول المحور الثالث موضوع اللاحياة، ويعود القسم الأكبر من القصائد في هذا المجال إلى القصائد التي لم تنشر في ديوان، إضافة إلى ديوان "صواريخ"، وتحدث فيها عن الأطفال والغربة والمنفى والوطن، وكانت الغربة قد تركت أثرها الواضح في شعره، وتركت بصمة فلسفية عقلانية، وأصبح الشعر لديه نسيجا لقضايا القلب والعقل والإحساس. والقصائد التي كتبها حول وطنه المحتل تعكس صورة الواقع الاجتماعي، والسياسي لشعبه، والتمزق الذي أصابه. والاحتلال كما يراه، له وجهان: سياسي واجتماعي، فهو مستعمر غازٍ لأرض الوطن، وهو ظالم مستغل لأبنائه، وكلا الوجهين يرتبط بالآخر. وتظهر صورة الظلم والضياع الذي أصاب أبناء أمته من خلال حياة الأطفال، ومن خلال الإجراءات التعسفية كالاستيلاء على الأرض، ونفي أبنائها منها. وإذا كانت صورة الموت قاسية، فالحياة أقسى منه. وقسوة الموت تأتي من حيث أن يحرم الإنسان من مكان يتوق إليه، وعليه أن يتعايش مع حرمانه، فتصبح الحياة منا لا حياة.

إن جوهر الصراع العربي اليهودي هو الأرض، وكان للمحاولات المستمرة للمحتل للاستيلاء على الأراضي العربية، ردا عميقا لدى الشاعر في الدفاع عنها والتمسك بها. وأول ما تلاحظه عند قراءة دواوينه، هو هذا المناخ الرومنتيكي الذي يمثل مشاعر الحنين والشوق، التي تشير إلى معاناة الشاعر الأبدية تجاه مسألة العودة للوطن. وتظهر العديد من قصائده الألم والحب، ومظاهر القلق والصراع، والتمزق واليأس والانطواء على الذات (القدس في العينين، عكا والبحر، إلى حيفا، إلى أورشليم، مع الأرض، هي الأرض). وهو يكتب الشعر تعبيرا عن الحنين، وتعويضا عما لحق به من حرمان ووحدة، فالحرمان والوحدة يدفعان للحديث عن الوطن، وعليه أن يتعايش مع هذا الحرمان، مما يجعل حياته أقسى من الموت. ويخصص الشاعر قسما من قصائده للطفولة، وطفولته في هذه القصائد اختلطت بطفولة العالم (الفلة الحمراء، من بلادي، إلى أطفال بلادي، وجدتكم، طفولة ثائر)، ويتحدث عن أيام الطفولة في قريته، ويتغنى للطفولة كرمز للسلام ونعيم الحياة، ويندد بالاحتلال الذي جعل حياة الأطفال مليئة بالشقاء والموت، ويشير إلى الوقائع الجزئية في حياة الأطفال وحياة الأمهات.

وترتبط العديد من التفاصيل الواردة في قصائده بحياة الشاعر في المهجر. وتدعم هذه القصائد حلم العودة من الغربة إلى الوطن (جنون، نيويورك، إلى أمي) فالشعور بالغربة واضح في قصائده، والحياة بالنسبة إليه كحاضر معاش منطفئة في الغربة، وما يطفئها هو الحرمان والعزلة، وتصبح الحياة في الغربة حياة بسيطة تمر عبر زمن رتيب، هي انتظار يفقد معناه الجوهري. ونضوب الحياة لدى الشاعر يجعلها مريرة، وهي لا تحمل إلا بعدا واحدا، وهو الماضي، والماضي ميت بالنسبة للحاضر، فهو لا يشكل أملاً في مواصلة الحياة، ولا يعبر إلا عن نحيب عميق على موت فلسطين، وأيام الطفولة الماضية.

عالم اللاموت: المقاومة والثورة والحرية .

وتناول المحور الرابع موضوعات اللاموت: المقاومة والثورة والحرية. وان توزعت قصائد هذا المحور في مختلف دواوينه، إلا أن القسم الأكبر منها جاء في ديوان "أنا الأرض لا تحرميني المطر" فهو ديوان الثورة والبحث عن الحقيقة، فهو يظهر فلسفة الشاعر في قضايا الفكر والحياة والوجود، فلقد تبلور فكره في هذه الفترة الزمنية من حياته، واستطاع أثناء غربته أن يغوص في عوالم الثقافة والأدب المتنوعة، وبدأ يجد المنطق الذي يهديه خطاه. ويفهم الشاعر الحب في هذا الديوان من خلال مبدأ الالتزام، ويصبح الحب عاطفة يجسدها النضال من اجل الوطن، فيصبح الوطن هو الهوى الذي يدعو فيستجاب دعاؤه، وتظهر صورة الحبيب ضمن مفهوم جديد، يتمثله الشاعر في عالم ما بعد الثورة، فالعاطفة الوطنية تتحد بالعاطفة الذاتية، إنها الثورة التي ستحمل للمظلومين شيئا من ثمارها، حتى على المستوى العاطفي، ويقول راشد حسين في مقدمة ديوان صواريخ:

"كان في الدرب ثائرات، وعيون في وجوه مشرقة تشعر بالحب والهناء! وفتحت قلبي وملأته ورجعت!... اعزي البؤساء وأثور مع الثائرين، واغني مع السعداء!... إلى الهازئين من الأمل والحب والكفاح أقدمها! لعلها تضمهم إلى الركب السائر في طريق الشمس، فإن أبوا فلعلها تحرقهم!"[1].

[1]- نفس المصدر السابق.

إن المقاومة والثورة والحرية، من الحركات الأساسية لشعر راشد حسين، وتتميز معالم هذه الحركات بملامح خاصة، تراها واضحة في العديد من قصائده، فالموت الذي يطوق الشعب، لا يزيده إلا إصرارا على المقاومة، والظلم الذي يسلطه المحتل على الشعب، ليس إلا نارا ترتد عليه، وسقوط الضحايا دفاعا عن الوطن، يعجل في ولادة الثورة ضد المحتل، والحرية لا تتحقق إلا عبر طريق الموت، فالروح تتحرر من جسدها عن طريق الموت، والشعب يتحرر من ظالمه عن طريق الموت. ويرسل الشاعر قوله الشعري في العديد من هذه القصائد، كصيغة تخاطبيه إلى متلقٍ محتمل أو ضمني ولكن بصورة غير مباشرة، وتجعل شعره حماسيا تسيطر عليه النبرة الخطابية التي تتوجه إلى الجماهير.

استطاع راشد حسين في قصائده أن يستقي تجاربه من مادة الواقع، وأن يعبر بعمق عن ارتباطه بالأرض والإنسان (عائدون، القدس والساعة) ويبشر بالثورة في العديد من القصائد، ويشجع شعبه على القيام بها والتعجيل بها (ضد، ثورة على سفر، إلى ثائرة، خداع، الباب المغلق)، ويستمد فكرته في الثورة من احد القوانين الماركسية التي تقول: إن التناقضات في المجتمع الرأسمالي تقود إلى نهاية هذا المجتمع، وكذلك فان التناقضات التي يثيرها الاحتلال من خلال الظلم والمعاناة والطغيان، تقود في نهاية الأمر إلى الثورة.

استغل الشاعر العديد من القصائد ليعبر عن انتمائه القومي وصوته الإنساني، وكان التلاحم طبيعيا في قصائده بين المعارك العربية خارج الأرض المحتلة وحال أبناء شعبه من الداخل (من آسيا أنا، آسيا لن موت، الثوار ينشدون، تحدي، إلى جميلة، مصرع جميلة بوحيرد، رسالتان، برقيتان من تل الزعتر)، وكل هذه القصائد تحدد هويته، ونزعته إلى التحرر والقضاء على الاستغلال، واستطاعت أن تعبر بصورة أكثر صفاء وعمقا عن المضمون الأصيل لحركة التحرير العربية، وأخذت تمثل موقفا أكثر طموحا، وهو تعبير مباشر عن الثورة. والموضوع المسيطر على جميع هذه القصائد هو اللاموت، ويأخذ الموضوع أشكالا متعددة بين مرحلة وأخرى، فهو إما أن يكون نضالا وموتا من اجل الدفاع عن الوطن، أو غناء للحرية والمستقبل. والطابع الذي يميز موضوع الحياة والموت في شعره، هو ارتباطه بالحالة الذاتية في المرحلة الأولى من حياته الشعرية داخل الوطن، ثم بدأ هذا الارتباط بالانحسار، واخذ يرتبط

بالقضية السياسية والاجتماعية لشعبه، فالخيوط التي تربط بين الحياة والموت والصراع بينهما، تظهر أكثر قوة ومتانة ووضوحا في ديوانه الثالث "أنا الأرض لا تحرميني المطر".

الخصائص الفنية لكتاباته النثرية:

تمثل الكتابات النثرية لراشد حسين صورة أخرى من أدبه السياسي الملتزم، وقد امتازت بأسلوبها الناقد واللاذع ضد السلطات الإسرائيلية والمجتمع العربي، وبطابعها الأدبي وأسلوبها الخاص. فقد كان من أفضل الكتاب في المجلات والصحف، وقد نشر قسما من هذه الكتابات في العديد من الصحف والمجلات الفلسطينية خلال فترة وجوده داخل البلاد، ونشر القسم الآخر بعد مغادرته البلاد في الصحف والمجلات العربية. وقد جمعت لجنة إحياء تراث راشد حسين هذه الكتابات النثرية في كتاب من جزأين بعنوان «كلام موزون»، عام 1982. وتتميز هذه الكتابات أيضا بحجمها الكبير والمتنوع، وبأنها تلقي الضوء على مواقفه الوطنية والقومية والإنسانية. فقد كتب المئات من المقالات في زوايا مختلفة ضمن صحف المرصاد والفجر والمصور والاتحاد ونشرات الأرض، منها "من أفواه الناس" و"كلام موزون" و"الحكاية" و"وحي الأيام"، تناول فيها مواقف وأحداث عديدة خلال فترة طويلة امتدت من عام 1948 إلى عام 1977. وبرز راشد حسين في هذه المقالات صحافيا متمرسا، يتسم بالشجاعة والصراحة والأسلوب الساخر المؤثر. ولقد استطاع بسخريته اللاذعة أن ينتقد ممثلي السلطة الإسرائيلية، وأن يخلّد التسلط والإرهاب الذي تمارسه السلطات الإسرائيلية ضد المواطنين العرب وأملاكهم داخل الوطن المحتل. وقد تعرض نتيجة لكتاباته التي ينتقد فيها ممثلي السلطة الإسرائيلية للملاحقة والاضطهاد من قبل السلطات. ولكن صوته ظل يرتفع في كل مجتمعٍ ونادٍ، ليعبّر عن القضايا الهامة التي تؤرقه كإنسان عربي التزم بأهداف أمته وتعلّق بآمالها، دون خوف من تهديدات الحاكم العسكري، والإنذارات المتواصلة الموجهة إليه. وتمثل كتابات راشد حسين توثيقا للحياة اليومية في ظل الاحتلال، فقد استطاع من خلال تسجيل مظاهر الحياة المختلفة للفلسطينيين داخل الخط الأخضر وما يواجهونه من اضطهاد أبان فترة الحكم العسكري، أن يكون أحد المؤسسين للرواية التاريخية الفلسطينية.

الخاتمة

إن رسم البنية العامة للموضوعات الشعرية في دواوينه لم يعد صعبا، فالموضوع المسيطر على مستوى قصائده جميعها هو موضوع الصراع بين الحياة والموت، ويأخذ هذا الصراع أشكالا متعددة بين مرحلة وأخرى من حياة الشاعر، فالموت إما أن يكون حبا مخفقا أو غربة أو ظلما أو ثورة، والحياة ترتبط بالماضي أو بالمستقبل وتغيب في الحاضر، فالقرية موطن الطفولة أو عالم الحياة القديم، والوطن هو منبع الحب الصافي أو وطن الرعاية والضمان، وبين الحياة والموت كانت حياة الشعر ترتبط بقيود تعرفها عناصر الغربة أو الاحتلال أو القمع السياسي والاجتماعي. وعلى هذا الأساس يصبح مفهوم الشاعر للحياة ورسالته في شعره، نوعا من العلاقة الجدلية بين الحياة والموت واللاحياة واللاموت.

بهذه الرؤية البنيوية يصبح فهم العلاقات التي تقوم بين موضوعات قصائد راشد حسين وعيا للعلاقات التي تقوم بين المكونات النفسية والسياسية والاجتماعية للشاعر والمجتمع الذي يعيش فيه، لقد كان الفعل المحرك لدى الشاعر هو الشعور بالظلم والمعاناة تحت الاحتلال، وكان هذا هو الشعور هو الذي يدفعه إلى أحضان الموت. وكان الحرمان في الغربة من الدوافع إلى طلب حياة جديدة، ولم يكن هذا ممكنا إلا عن طريق الرفض والثورة.

وتتميز كتابات راشد حسين النثرية بحضورها في القراءة العربية المعاصرة لحياة الفلسطينيين في الداخل والخارج، فقد كان يتمتع ببصيرة بلغت من النضوج حد النبوءة. واستطاع بالكلمة المكتوبة نثرا ومقالة، أن يعبر عن رفض الشعب الفلسطيني للواقع المفروض عليه، وأن يكون ناطقا باسم الأطفال والعمال والفلاحين والفقراء، وندد بأسلوب ساخر بالإقطاع والقيادات التقليدية، وعالج الصراع الطبقي والظلم الاجتماعي. ورغم أنه كان مقلا في كتاباته إلا أنه ترك تأثيرا كبيرا على جيل كامل من الشعراء والنشطاء السياسيين. وقد صدرت مجموعة من الدراسات والكتب النقدية حول إنتاجه الاستثنائي، إلا أن ما كتب عنه حتى الآن، لم يوفه حقه من الاهتمام والتقدير.

مراجع أخرى يمكن الرجوع إليها

أ- الكتب:

حسن، علي فرج أبو ال. **قراءة في أشعار راشد حسين**. المركز الفلسطيني للمصادر وحقوق المواطنة واللاجئين، الضفة الغربية، 2000.

حسني، محمود. **راشد حسين الشاعر: من الرومانسية إلى الواقعية**. الزرقاء: الوكالة العربية للنشر والتوزيع، 1985.

شوملي، قسطندي. **جدلية الحياة والموت في شعر راشد حسين**. الطيبة: مركز إحياء التراث، 1996.

Boullata, Kamal. Ghossein, Mirene. *The World of Rashid Hussien, a Palestinian Poet in Exile*. Detroit, Association of Arab-American University Graduates, 1979, AAUG Monograph Series no. 12

ب- المقالات

أفندي، تيجان. " شاعر الأرض: ثلاثون عاما على رحيل الشاعر الفلسطيني راشد حسين"، موقع **العرب**، 17 تشرين الثاني 2008.

حسن، نواف عبد. راشد حسين: رائد. مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، 20 أيلول 1990، منتدى **أخبار بلدنا**.

خلايله، أسمهان. "لأنه جاء على عجل.. كتب الشعر مستعجلا"، منتديات **بنورة**، 15 شباط 2004.

خوري، الياس. إعراب النهاية. منتدى **أخبار بلدنا**، 18 كانون الأول 2007.

عواوده، وديع. "30 عاما على رحيل الشاعر الفلسطيني راشد حسين بنيويورك"، **دنيا الوطن-دنيا الرأي**، 24 نيسان 2007.

مسلم، سامي. "راشد حسين في ذكراه الثلاثين فارس الشعر المقاوم والإنسان المعذَّب بالإنسانية"، **دنيا الوطن-دنيا الوطن**، 26 آذار 2007.

ياسين، عبد القادر حسين. "الشجرة التي اقتلعت من تربتها" صحيفة **القدس العربي** وموقع **العرب**، 17 تشرين الثاني 2008.